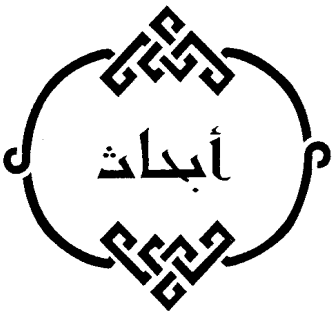

خصائص منهج القرآن الكريم في عرض آيات خلق الإنسان دراسة موضوعية تأصيلية

إعداد: د. نورة بنت عبد العزيز العلي

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

والباحثة: أسماء بنت حبيب زايد السلمي

باحثة ماجستير بقسم التفسير والحديث

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

برزت عناية القرآن الكريم بخلق الإنسان، وكثرت الآيات في هذا الشأن وتنوعت. والمتأمل فيها يلحظ أنَّ القرآن الكريم سلك مسلكًا بديعًا، ومنهجًا فريدًا في تناول تلك الآيات؛ فتلمس بحث: (خصائص منهج القرآن الكريم في عرض آيات خلق الإنسان، دراسة موضوعية تأصيلية) جانبًا من معالم هذا المنهج؛ وذلك بالتعرف على الخصائص التي تميز بها؛ بهدف بيان عناية القرآن الكريم الدقيقة بموضوع خلق الإنسان، ودراسة الخصائص التي تميز بها في عرضه لهذه الآيات، وإبراز ما تضمنته من المعاني، وما فيها من إعجاز، عن طريق المنهج

الاستقرائي التحليلي؛ وذلك بجمع آيات خلق الإنسان وقراءة تفسيرها وتأملها، ثم استنباط ما شملته هذه الآيات من خصائص، وتوضيحها، وبيانها؛ والتي تتمثل في سبعة مباحث، وهي: الوضوح والبيان، والشمول، والتوازن، والدقة، وصدق أخباره وثباتها، والاقتران بين الآية والغرض منها، وعمق الدلائل.

ثم خُتم البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات؛ والتي تلخصَّت في: شمول منهج القرآن الكريم في عرضه لآيات خلق الإنسان لكثير من الخصائص التي تميز بها، وأثبتت صدقه وإعجازه، و كذلك جمعها بين الجانبين المعنوي واللفظي بصورة متحدة ومتناسقة ومترابطة؛ ممَّا أوضح المعنى المراد من الآيات لكافة المخاطبين بالصورة المناسبة.

وأما التوصيات التي أوصى بها البحث فهي: التوسع في دراسة التوازن المعنوي في القرآن الكريم؛ من خلال موضوعاته المتنوعة، وكذلك دراسة التخصيص اللفظي في القرآن الكريم، وبيان معالمه ومميزاته.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن للأدواء شفاءً، وللصدور جلاءً، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد:

فإنَّ خير القلوب قلب واعٍ للقرآن الكريم، وخير الألسنة لسان يتلوه، وخير البيوت بيت يكون فيه، وإن أعظم الكتب منزلة هو القرآن؛ فهو النور المبين الذي لا يشبهه نور، والبرهان المستبين الذي ترتقي به النفوس وتنشرح به الصدور، لا شيء أفصح من بلاغته، ولا أرجح من فصاحته، ولا أكثر من إفادته، ولا ألذ من تلاوته، من تمسك به فقد نهج منهج الصواب، ومن ضل عنه فقد خاب وخسر وطرد عن الباب.

وإنَّ المتأمل في هذا الكتاب لابد وأن يلحظ أنَّ الحديث في القرآن عن موضوع خلق الإنسان قد تكرر كثيراً، وظهر في ذلك جوانب أصولية، وخصائص وأساليب تميز بها هذا الكتاب العزيز عن غيره. من هذا المنطلق أحببت أن أساهم في دراسة واستنباط خصائص منهج القرآن في عرضه لآيات خلق الإنسان. أسأل الله التوفيق والتيسير والإعانة.

- **عنوان البحث:** خصائص منهج القرآن الكريم في عرض آيات خلق الإنسان.
- **مشكلة البحث:** عناية القرآن الكريم الظاهرة بخلق الإنسان وأصله ومراحل هذا الخلق، وكثرة الآيات في هذا الشأن وتنوعها. والمتأمل فيها يلحظ أن القرآن سلك مسلكًا بديعًا، ومنهجًا فريدًا في تناول تلك الآيات؛ فأردت أن أتلمس من معالم هذا المنهج؛ الخصائص التي تميز بها.

- **حدود البحث:** هذا البحث يتضمن دراسة منهج الآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان ومراحل تكوينه، من الخصائص.
- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

١- مكانة القرآن الكريم، وجزالة ألفاظه، وقوة معانيه، ودقة تصويره للمشاهد والآيات.

٢- غزارة الآيات القرآنية التي تحدثت عن خلق الإنسان.

٣- المعاني العظيمة التي تضمنتها آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم.

٤-الخصائص الفنية لأسلوب القرآن الكريم، وسماتها البلاغية وتأثيرها في النفس الإنسانية.

- **الدراسات السابقة:**

لم أقف-بحسب علمي- على دراسة تناولت خصائص المنهج العام للقرآن الكريم في عرضه لآيات خلق الإنسان من ناحية تأصيلية؛ إنَّما كانت هناك دراسات تناولت جانبًا من جوانب آيات خلق الإنسان، من حيث موضوعها وتفسيرها، أو من حيث الأساليب التي وردت فيها بشكل جزئي.

- **أهداف البحث:**

١- دراسة الخصائص التي تميز بها منهج القرآن في عرضه لهذه الآيات، وإبراز ما تضمنته من المعاني.

٢- بيان عناية القرآن الكريم الدقيقة بموضوع خلق الإنسان.

- **منهج البحث:** المنهج الاستقرائي التحليلي: وذلك بحصر الآيات التي تضمنت ذكراً لخلق الإنسان، ودراستها دراسةً موضوعيةً، وتفسيرها، وتحليلها؛ لاستنباط ما فيها من خصائص.

■ **خطة البحث:** تتكون خطة البحث من مقدمة، وسبعة مباحث، وخاتمة. وهي كالتالي:

المقدمة: وتشتمل على:

- عنوان البحث.
- حدود البحث.
- مشكلة البحث.
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- أهداف البحث.
- منهج البحث.
- خطة البحث.

وقسمت البحث إلى سبعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الوضوح والبيان.

المبحث الثاني: الشمول.

المبحث الثالث: التوازن.

المبحث الرابع: الدقة.

المبحث الخامس: صدق أخباره وثباتها.

المبحث السادس: الاقتران بين الآية والغرض منها.

المبحث السابع: عمق الدلائل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول
الوضوح والبيان

عرض القرآن الكريم آيات خلق الإنسان عرضًا رائعًا مؤثرًا، توافرت فيه كل وسائل الإيضاح والإقناع بأسلوب معجزٍ في بيانه وبلاغته، واستدلالٍ موجز عميق، يستمد عمقه وبساطته من الإنسان نفسه، والكون من حوله؛ ليُخرج المعقولات الدقيقة في صورة واضحة جلية، تقوي الإيمان واليقين في القلب، وتهذب النفس، وتصقل العواطف والأفكار(١).

ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أولًا: سهولة العبارة ووضوح المعنى:

ألفاظ القرآن الكريم تحتوي على معاني أولية أصلية، هي أول ما يفهم من اللفظ، ومعاني ثانوية تابعة لها، تدل على هدايات متنوعة من: عقائد، وأحكام، ولطائف، وآداب، يختلف الناس في إدراكها على مقدار اختلاف مواهبهم واستعدادهم؛ لأنها دقيقة الطرق لطيفة المسالك، بخلاف دلالة النظم على هدايات القرآن الكريم باعتبار معانيه الأصلية؛ فإنها واضحة يقل فيها التفاوت والاختلاف، ويستوي في فهمها الجميع(٢).

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، تنطبق على جميع الآيات؛ لكن نذكر منها:

أ- قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١]، أمر الله-جل ثناؤه- في هذه الآية المكلفين من خلقه بعبادته، والخضوع له بالطاعة، وإفراده بالربوبية والألوهية، دون الأوثان والأصنام؛

(١) ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني ٢/١٢٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق ٢/١٢١-١٢٢.

لأنه ﷻ هو الخالق لهم ولمن قبلهم؛ وذلك يوجب عليهم توحيده بالعبادة والطاعة؛ ليتقوا بذلك سخطه وغضبه(١).

وهذا معنى واضح جليّ يستوي في فهمه الجميع، ويختلفون ويتفاوتون فيما بعد ذلك من الدقائق واللطائف المستنبطة بحسب اختلاف مداركهم وأفهامهم.

ب- قوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين:٤]، المعنى الأولي المفهوم من هذه الآية هو أنَّ الله ﷻ أحسن صورة الإنسان وحواسه، ثم تنوعت بعد ذلك عبارات المفسرين والعلماء في بيان المراد بـ(أحسن تقويم) على وجوه متعددة بحسب تفاوت أفهامهم وتصوراتهم، منها: (التمييز بالعقل- جعله مديد القامة يتناول مأكوله بيده - بالعلم والبيان- بقوته وشبابه.. الخ)، وجميعها ترجع إما إلى الصورة الظاهرة، أو إلى السيرة الباطنة، والأولى العموم(٢).

وهكذا فإنَّ غالب الفهم الأولي للآيات يكون عبارة عن جزء من المعنى المراد من الآية، وكل ما تعمق الإنسان في الآية على نورٍ وبصيرة من الله ﷻ، تجلت وظهرت له معاني ودلائل أقوى وأعمق.

ثانيًا: اعتماده الطريقة التصويرية:

اعتمد القرآن الكريم الطريقة التصويرية للتعبير عن بعض المعاني والأفكار المراد إيضاحها، بأسلوب يظهر الصورة والمشهد للقارئ وكأنه يجري أمامه حيًّا متحركًا؛ إذ الفضيلة البيانية إنما تعتمد دقة التصوير، وإجادة التعبير عن المعنى كما هو،

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري ٣٨٤/١، ٣٨٦.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي ٢٧٧/٥، و مفاتيح الغيب، الرازي ٢١٢/٣٢، والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان ١٠/ ٥٠٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص٩٢٩.

وعلى قدر الحاجة من غير إسراف ولا تقتير، يظهر المعنى بصورة نقية وافية لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، ولا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية والكمالية في أوجز لفظ وأنقاه(١).

ومن الأمثلة على ذلك:

أ- قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ [الإسراء:٨٣]، صور الله- جل وعلا- حال الإنسان المعرض عن شكر الله ﷻ على نعمه، بحال المتكبرين من البعد والإعراض عن الشيء؛ فإنَّ الإنسان الكافر عند حصول النعمة من صحة وسعة ونحوها يعرض ويبعد عن ذكر الله ﷻ، كأنه مستغن مستبد بأمره، فقوله ﷻ: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فُصِّلَت:٥١]، تصويرٌ لحال المعرض بأوجز لفظٍ وأوضح صورة(٢).

ب- قوله -تعالى-: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج:٥]، استدل الله ﷻ على البعث بما هو مشاهد للناس من إحياء الأرض الميتة بعد تداخل الماء فيها، وما ينتج عن ذلك من: اهتزاز وتحرك وارتفاع وعلو؛ تهيئةً لخروج النبات منها بعد أن كانت ميتة يابسة جامدة لا حراك فيها؛ لذلك افتتح الله ﷻ هذه الجملة بفعل الرؤية، بخلاف الاستدلال بخلق الإنسان في أول الآية قال فيه ﷻ: (فإنَّا خلقناكم)؛ لأن مبدأه غير مشاهد، وفي الآية إشارة إلى أن همود الأرض بمنزلة موت الإنسان، واهتزازها

(١) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد دراز، ص١٤١، ومباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم ص١٤٥.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٦٩٠/٢، ومفاتيح الغيب، ٣٩٠/٢١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ٢٦٥/٣.

وإنباتها بعد ذلك يماثل الإحياء بعد الموت[1].

ج- قوله -تعالى-: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم:١٩]، صيغة المضارع في قوله تعالى:(يخرج) و(ويحي) فيها استحضار للحالة العجيبة من إخراج المتضادات بعضها من بعضها؛ إذ هو من آيات الله ﷻ العظيمة الدالة على استحقاقه التعظيم والإفراد بالعبادة؛ حيث أودع سبحانه هذا النظام العجيب في الموجودات؛ فجعل في الشيء الذي لا حياة له قوة وخصائص تجعله ينتج الأشياء الحية. وتظهر صور إخراج الحي من الميت في أحوال كثيرة، منها: خلق الجنين من النطفة، وإخراج الفراخ من البيض، والعكس في إخراج الميت من الحي[2].

(١) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي ٢٣٣/٧، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠٣/١٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٦٨/٢١.

المبحث الثاني
الشمول

من خصائص كتاب الله ﷻ شموله لجوانب الحياة كلها، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، وقال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، ومن شموله: حديثه عن بديع خلق الله ﷻ في النفس الإنسانية، وخصائصها، وصفاتها؛ حيث بلغت الآيات في ذلك من السعة والشمول مبلغًا لا تستطيع أجيال من العلماء الإحاطة به مهما أوتوا من وسائل وإمكانيات(١).

وبيان ذلك على النحو التالي:

أولًا: الشمول في بيان جوانب الخلق:

لقد حظي الإنسان بجانب كبير من اهتمام القرآن الكريم، خصه الله ﷻ بملكة العقل والبيان، وسخر له كل ما في السموات والأرض، وجعله أهلًا لحمل الأمانة التي عجزت عن حملها السماوات والأرض والجبال، وشمل حديث القرآن عن خلقه جوانب عديدة أبرزها ما يلي:

١- مبدأ خلقه بذكر خلق آدم عليه السلام وحواء، ثم سنة الله ﷻ في تطوره وتكاثره من الزوجين الذكر والأنثى، ثم بيانٌ لأطوار خلقه داخل الرحم، إلى أن يخرج خلقًا آخر مكتمل الخلقة(٢). ونلحظ ذلك في عدد من الآيات، منها: قوله -تعالى-: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾ [الزُّمَر:٦].

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن ص٢٢٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق ص٢٠٨.

٢- صفات الإنسان، وخصائصه الجسدية كما في قوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤]، وقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم:٥٤].

والنَّفسية كما في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج:١٩-٢١]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود:٩-١٠]، وغالبًا ما يتبع الله ﷻ صفات الإنسان السيئة التي يستغلها الشيطان في إغوائه، بذكر سبيل تجنبها والبعد عنها، عن طريق عددٍ من الأمور التي تساعد الإنسان على مقاومة هذه الصفات الجبلية كالصلاة والصبر ونحوها.

٣- علاقته بالكون من حوله من جانبي: التسخير، والتكريم، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:٧٠]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر:٦٤].

أو بالمقارنة بينه وبين غيره من المخلوقات؛ لتوضيح الدلائل وإقامة الحجج كما في قوله -تعالى-: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾ [الصافات:١١]، فقوله:(أم من خلقنا) تشمل معاني عديدة، منها: ما تقدم ذكره في الآيات السابقة لهذه الآية من خلق الملائكة، والشياطين، والسموات، والأرض،

وغيرها[١].

٤- مصيره ومآله بالموت ثم البعث كما في قوله -تعالى-: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وقال ﷻ-بعد ذكر أطوار الخلق-: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون:١٥-١٦].

ثانيًا: الشمول في الخطاب:

١- خطاب العامة والخاصة:

شمل الخطاب في آيات خلق الإنسان أصناف العامة والعلماء؛ فالعامة يرون أن آياته واضحة بينة قريبة إلى عقولهم، يدركون منها بفطرتهم السليمة ما يناسب معرفتهم، ويزداد به إيمانهم. وعلماء البلاغة يرون فيه لطائف التعبير ودقائقه. وعلماء الطب يرون فيه دقة التكوين وصدق الحقائق. وهكذا كل منهم يفهم من الآيات بمقدار عقله، وعلى وفق حاجته، ويبقى إعجازه العلمي لا تنتهي عجائبه[٢].

ومن الأمثلة على ذلك:

أ- قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]، يفهم العامي من هذه الآية قدرة الله ﷻ في خلق الإنسان وما مر به من أطوار، ويفهم منها علماء البلاغة الدقة في التعبير والتصوير باختيار الألفاظ والحروف، ويفهم منها علماء الطب ما فيها من إعجاز علمي ووصف دقيق مطابق لما

(١) ينظر: جامع البيان ٥٠٩/١٩، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٤٦٧/٤.

(٢) ينظر: مناهل العرفان ٢٦٤/٢. والنبأ العظيم ص١٤٧.

أُكتُشِف في العصر الحديث... وهكذا.

ب- قوله -تعالى-: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان:٣٤]، قصر فهم العوام لهذه الآية الكريمة على فهم واحد "الذكر والأنثى"؛ فلم يخطئوا لكنَّ استقراءهم ناقص؛ إذ هو جزء بسيط مما يعلمه الله-جل وعلا-؛ فالله ﷻ يعلم ما في الأرحام ذكراً كان أم أنثى، يتم خلقه أو لا يتم، متى تنتهي حياته، وشقي أم سعيد، ومتى ينتقل من الدنيا إلى الآخرة، وماذا سيترك في الدنيا من أعمال وآثار؟[(١)].

ج- قوله ﷻ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزُّمَر:٦]، فهم بعض المفسرين أن المقصود بالظلمات الثلاث في هذه الآية: (ظلمة البطن - وظلمة الرحم - وظلمة المشيمة) وهي ظلمات ثلاث فعلًا؛ لكن مع تقدم العلم في عصر الحديث اكتشف العلماء الأغشية الثلاثة (الأمنيوني- الكوريون- الساقط)، وهي ظلمات تؤكد وصف القرآن الكريم، تحيط بالجنين لا ينفذ معها أي من: الماء أو الهواء أو الضوء أو الحرارة[(٢)].

فالقرآن الكريم يعطي لكل عقل قدر حجمه؛ فإذا ما كشف الله ﷻ لنا عن سر جديد في هذا الكون رجعنا إلى الآيات، ووجدناها تؤدي هذا المعنى الجديد[(٣)].

٢- خطابه للعقل والعاطفة معًا:

شمل الخطاب في آيات خلق الإنسان عقل الإنسان وعاطفته معًا، بأسلوب واحد وببيان تام، بما احتواه من دلائل وبراهين صارمة تدعو الإنسان إلى التفكر

(١) ينظر: إعجاز القرآن في (ويعلم ما في الأرحام)، محمود محمد غريب ص٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أبو شوفة ص٧٣.

بعقله، وتثير فيه المشاعر من: التعجب، والتشويق، والتوبيخ، وما إلى ذلك؛ فجمعت آياته بين الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية[١]. ومن الأمثلة على ذلك:

أ- قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١]، بين الله ﷻ بطلان الشرك وإثبات توحيده -جل وعلا- في هذه الآية؛ بتحريك العقول والمشاعر وتذكير المخاطبين؛ بما وهب الله ﷻ لعباده من الرزق الذي به قوام حياتهم، وما أنعم عليهم من الحواس، ومن نظام التناسل والتوالد الذي به بقاء الأنواع، وتدبيره ﷻ لنظام العالم؛ لأنَّ المختص بها هو المستحق للألوهية، وجاء هذا الاستدلال بطريق الاستفهام والجواب ليكون الدليل الحاصل به أوقع في النفس، وتقريعًا وتوبيخًا للمشركين؛ لأن إقرارهم بثبوت ربوبيته سبحانه يوجب بطلان عبادة غيره، فكيف يستجيزون العدول عن الحق الظاهر، ويقعون في الضلال[٢]؟!

ب- قوله -تعالى-: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزُّمَر:٦]، بعد أن بين الله ﷻ في هذه الآية الدلائل على قدرته ﷻ ووحدانيته بخلق جميع الناس من نفس واحدة، وتذكيرهم بمراحل خلقهم وتقلباتهم داخل الرحم في ظلمات ثلاث، أعقب ذلك بالإشارة إلى استحقاقه -جل وعلا- للعبادة وحدة دون ما سواه، منكرًا وموبخًا المشركين على انصرافهم عن عبادته ﷻ، وعبادتهم ما لا ينفع ولا يضر، مع وضوح الأدلة على

(١) ينظر: مناهل العرفان ٢/٢٤٧، والنبأ العظيم ص١٤٨-١٥١.

(٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/٥٠٤، والتحرير والتنوير ١١/١٥٥.

ذلك[1].

ج- قوله ﷻ: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة:٥٧-٥٩]، وجه الله ﷻ الخطاب لتقريع المشركين وتوبيخهم بسياق الحجج الموجبة للتصديق، مبتدئًا- جل وعلا- بقوله: (أفرأيتم ما تمنون)؛ لأنَّ كل إنسان يعلم بأنَّه ليس له في خلق هذا المني الذي يخرج منه عمل ولا إرادة ولا قدرة، وجاء الخطاب بأسلوب الاستفهام التقريري؛ إذ لا يسعهم إلا أن يقروا بأن الله ﷻ خالق النسل من النطفة، وذلك يستلزم قدرته -جل وعلا- على إعادة الخلق[2].

د- قوله -تعالى-: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس:٤].

بعد أن ذكر الله ﷻ بعضًا من صفاته العظيمة ونعمه الجليلة في الآيات الأولى من سورة يونس الدالة على أنَّه وحده سبحانه هو المستحقُّ للعبادة دون ما سواه، وأنَّ العبادة لا تصلح إلا له؛ أتبع ذلك تذكير العباد بأنَّ مرجعهم جميعًا إليه؛ ليستعدُّوا للقائه، مبينًا سبحانه أنَّه كما بدأ إنشاء الخلق؛ فإنَّه يعيده ويوجده حيًا كهيئته يوم ابتدأه. وأنَّ من مقتضى حكمته في ابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم بالعدل، برحمته يثيب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، ويعاقب من عصاه وخالف أمره. فجمعت

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٧١٩، والتحرير والتنوير ٢٣/٣٣٥-٣٣٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١٠/٨٨، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي ٥/٣٦٨، وفتح القدير ٥/١٨٨، والتحرير والتنوير ٢٧/٣١٣.

الآية بين الترغيب في الطاعات بربط الثواب بفعلها، والترهيب بالزجر عن القبائح وربط العقاب بفعلها، وأنَّ الثواب المرغب فيه، والعقاب المهدَّد به غير حاصل في دار الدنيا؛ فلا بد من دار أخرى يحصل فيها هذا الثواب وهذا العقاب(١).

٣- خطاب الكافرين والمؤمنين معًا:

كثير من آيات خلق الإنسان تخاطب الكافرين ويدخل فيها المؤمنون كذلك من باب التحذير أو التذكير لهم، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- شمول الأمر بالعبادة للمؤمنين والكافرين في قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة:٢١]؛ إذ المراد بعبادة المؤمنين هو إقبالهم وثباتهم عليها والاستزادة منها، أمَّا عبادة الكفار فمشروطٌ فيها الإقرار الذي لا بدَّ لها منه، فهو داخل تحت الأمر بها وإن لم يذكر، فشرط الإتيان بالعبادة الإيمان أولًا، ثم الإتيان بالعبادة ثانيًا. فشمول الخطاب للجميع ممكن للمؤمنين باستدامة العبادة، وللكافرين بابتدائها.

والمقصود بالعبادة هنا توحيد الله ﷻ والتزام شرائع دينه. و(الناس) يعم الموجودين وقت النزول لفظًا ومن سيوجد(٢).

ب- قوله -تعالى-: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾ [الملك:٢٣]، يمكن توجيه شمول الخطاب في هذه الآية إلى أنَّ الخطاب إذا كان عام لجميع الناس فالشكر يعمُّ كلَّ نعمة وهو قليل بالنسبة لعدد الشاكرين؛ لأنَّ أكثر الناس مشركون، وإذا كان للمشركين فالشكر مراد به التوحيد،

(١) ينظر: جامع البيان ١١٥/١٢-١١٦. والكشاف ٣٢٨/٢، ومفاتيح الغيب ١٩٣/١٧، ١٩٦.

(٢) ينظر: الكشاف ٩٠/١، ومفاتيح الغيب ٣٢٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٢٥/١، ومحاسن التأويل ٢٦٥/١.

أي: فالشكر الصادر منكم قليل بالنسبة إلى إشراككم مع الله غيره في العبادة. وإذا كان الخطاب للمسلمين فالشكر عام وتقليله تحريض على الاستزادة منه ونبذ الشرك، وتعريض بالمشركين[1].

ج- قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم:١٩]، الخطاب في هذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته، وفيه تعريض بالمشركين تنبيهًا من الله ﷻ واستدلالًا لعباده بخلق السموات والأرض على قدرته- جل وعلا- في تبديل الخلق بخلق غيرهم، وتحذيرًا لهم من معصيته؛ فإنَّ من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم قادرٌ على أن يبدلهم بخلق آخر أفضل وأطوع منهم، وما ذلك على الله بمتعذر أو متعسر؛ بل هو سهل عليه؛ فإنَّه قادرٌ لذاته لا تختصُّ قدرته بشيءٍ دون شيءٍ، ومن كان هذا شأنه فحقيقٌ أن يُؤمن به ويُعبد رجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه، فالخطاب يشمل كل من يصلح له. وإن كان فيه التعريض بالمشركين خاصة، ترهيبًا لهم بأنهم غير معجزين[2].

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٨/١٠٤.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود ٥/٤٠-٤١، ومحاسن التأويل ٦/ ٣٠٩، والتحرير والتنوير ١٣/٢١٤-٢١٥.

المبحث الثالث
التوازن

المتأمل لآيات القرآن الكريم، لابد وأن يلحظ أن عباراته وأساليبه وموضوعاته ومعانيه جاءت متسقة متوازنة بعيدة عن الشذوذ والغرابة، ويمكن بيان ذلك في آيات خلق الإنسان من وجهين:

الوجه الأول: التوزان العام في الخلق ومن الأمثلة على ذلك:

١- حكمة الله ﷻ في التوازن بين حالات مراحل خلق الإنسان، قال -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم:٥٤]، ابتدأ الله ﷻ خلق الإنسان من نطفة ضعيفة وماء مهين، وجعله في أول نشأته وطفولته في غاية الضعف، ثم يشبُّ بعد ذلك شيئًا فشيئًا حتى يكون شابًا له قوة على التصرف، ثم ما زال الله ﷻ يزيد في قوته حتى تستوي وتكتمل قواه الظاهرة والباطنة، ثم يشرع بعد ذلك في النقص ويرجع إلى الضعف والشيبة والهرم بعد القوة، وهذ كلُّه بتدبير خالقه العليم القدير؛ ليُري العبد ضعفه، وأنَّ قوته محفوفة بضعفين، فليس له من نفسه إلا النقص. ولولا تقوية الله ﷻ له لما وصل إلى تلك القوة والفتوة، ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى وعتا(١).

٢- التكامل والتوازن بين خلق الزوجين الذكر والأنثى، وقيام الحياة الزوجية بينهما على أساس ذلك. يقول الله -تعالى-: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

(١) ينظر: جامع البيان ٥٢٥/١٨، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٩١/٦، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٤٤.

[الروم:٢١]، امتنَّ الله ﷻ على بني آدم عليه السلام بأن جعل لهم أزواجًا من جنسهم؛ ليسكن بعضهم إلى بعض، وجعل بينهم المودة والرحمة، فهما يتوادان ويتراحمان من غير رحمٍ بينهما، ثمَّ جعل لهم سبحانه من أزواجهم أولادًا تقر بهم أعينهم، ويخدمونهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، كما بيَّن -سبحانه- في عددٍ من الآيات أنَّ وجود المرأة الأول كان مستندًا إلى وجود الرجل وفرعًا عنه بأمر كوني قدري من الله ﷻ، ثم جاء الشرع الكريم بمراعاة هذا الأمر الكوني القدري في جميع النواحي؛ فجعل الرجل قائمًا على المرأة وجعلها مستندةً إليه في جميع شؤونها، قال -تعالى-: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء:٣٤]، ولأجل تلك الفوارق العظيمة القدرية بين الذكر والأنثى، فرَّق الله ﷻ بينهما في أمور عديدة ليقوم التوازن بينهما، فجعل سبحانه الطلاق بيد الرجل دون المرأة، وفارق بينهم في الميراث، وفي نسبة الأولاد، وفي تعدد الزوجات دون الأزواج ونحو ذلك لحكم عديدة؛ فالذي خلقهما أعلم بحقيقتهما(١).

٣- عطف الله ﷻ الأمر بالقيام بحق الوالدين والإحسان إليهما، والنهى عن عقوقهما والإساءة إليهما، على القيام بحقه وشكره وتوحيده في عدد من الآيات، من ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان:١٤]؛ وذلك لما عالجاه من مشقة في تربيته وتنشئته حتى استحكمت قواه. وخصَّ الله ﷻ الأم في هذه الآيات بمزيد عناية؛ لما لاقته في حملها ووضعها من المشاق، إلا أنَّه سبحانه بيَّن أنَّ برَّ الوالدين وطاعتهما لا تُقدَّم على طاعة الله ﷻ ورسوله، فكلُّ حق وإن عظم

(١) ينظر: الكشاف ٤٧٣/٣، ومفاتيح الغيب ٩١/٢٥-٩٢، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٤٤، والتحرير والتنوير ٧١/٢١.

ساقطٌ إذا جاء حقُّ الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ فإن جاهداك على أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين، فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك، فمطلب الآية الأمر ببر الوالدين وتعظيمه، إلا في جانب الكفر والمعاصي، ولم يقل سبحانه: فعقهما، بل قال: (فلا تطعهما) أي: بالشرك، وأما برهما فاستمر عليه صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وهذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم حتى وإن كانا مشركين[(١)].

الوجه الثاني: التوازن في النظم ويمكن بيانه من خلال ما يلي:

١- التوازن في العبارات:

توازن الآيات من حيث: الفواصل، والطول والقصر، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: قوله -تعالى-: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس:١٧-٢٢]، جاءت فواصل هذه الآيات منتهيةً بحرف الهاء، متساوية في الوزن من حيث عدد الحروف والحركات والسكنات[(٢)].

وقوله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢١-٢٢].

(١) ينظر: جامع البيان ١٣٧/٢١، والكشاف ٤٤٢/٣، والمحرر الوجيز ٣٤٩/٤، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٤٨، ص٧٨١، والتحرير والتنوير ٢١٣/٢٠.

(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني ٣٠٤/١-٣٠٥.

٢- التوازن في الأساليب:

عرض القرآن الكريم آيات خلق الإنسان بأساليب متعددة ومتنوعة، من بينها: أسلوب الترغيب والترهيب؛ حيث دعا الله ﷻ فيها بني آدم عليه السلام إلى توحيده -جل وعلا- وإفراده بالعبادة، بتذكير العباد بأنه هو الخالق ﷻ، والمستحق للعبادة وحده دون ما سواه بما امتن به عليهم من النعم العظيمة في أنفسهم، وفي الكون من حولهم، قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر:٦٤]؛ فالذي خلقهم وأوجدهم بعد العدم، وأنعم عليهم بكثير من النعم الظاهرة والباطنة، من تسخيرٍ للأرض، وجعلها قرارًا يستقرون عليها، وينتفعون مما يخرج منها، وبنى لهم السماء، وأودع فيها من الخيرات والمنافع ما تقوم بها حاجاتهم ومصالحهم، هو وحده من يستحق أن يعبد ولا يشرك به غيره، اعترافًا له بالفضل ومقابلة لنعمه بالشكر(١).

وجاءت آيات أُخر تحذر من الكفر بالله ﷻ، وعدم الاستجابة لأمره، مبينًا فيها سبحانه قدرته على إهلاك، واستبدال من عصاه، وخالف أمره، قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم:١٩-٢٠]؛ ترهيبًا للمشركين وتذكيرًا لهم بأنهم غير

(١) ينظر: الكشاف ٩٣/١، ومحاسن التأويل ٢٦٧/١، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٥.

معجزين، إن شاء ﷻ أهلكهم وخلق قومًا غيرهم خيرًا منهم[١].

وتارة يجمع الله ﷻ في الآية الواحدة بين الترغيب والترهيب، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام:١٣٣]، بين الله ﷻ في هذه الآية أنه ما أمر عباده بما أمرهم به، ونهاهم عما نهاهم عنه؛ لحاجة منه لهم أو إلى أعمالهم؛ بل ليتفضل عليهم برحمته، فيثيبهم على إحسانهم؛ فهو ذو الرأفة والرحمة، غني بذاته سبحانه عن جميع الخلق، إن يشأ سبحانه أهلك من شاء من خلقه وأتى بخلق غيرهم ممن يؤمن به يخلفونهم في الأرض؛ فما إمهاله إياهم إلا لأنه الغني ذو الرحمة؛ فأردف الاستغناء بالتفضل في أجمل صور التناسق[٢].

٣- التوازن في ذكر الموضوعات:

يظهر التوازن في موضوعات آيات خلق الإنسان من خلال ذكر الشيء ومقابله على أوجه عديدة، أبرزها ما يلي:

أ- المتضادات المتعلقة بخلق الإنسان: كالذكر والأنثى، والموت والحياة، قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] وقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الليل:٣]، ذكرهما الله مقترنة في كثير من الآيات، وفي توازنها من حيث ورودها في الآيات، أو من حيث وجودها في الحياة، دلائل وحكم، منها:

- أنها من أعظم الأدلة على كمال قدرته الله ﷻ، وانفراده بالألوهية؛ إذ الهدف من عرض الدلائل العقلية والنقلية في القرآن الكريم هو معرفة الله ﷻ بذاته

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/٩، ومحاسن التأويل ٣١٠/٦، والتحرير والتنوير ٢١٥/١٣.

(٢) ينظر: جامع البيان ٥٦٤/٩، والمحرر الوجيز ٣٤٧/٢، ومفاتيح الغيب ١٥٣/١٣، والتحرير والتنوير ٨٥/٨-٨٧.

وأفعاله وصفاته، وابتداع خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة فيه، تنبيه على كمال القدرة وإشعارٌ بصفة العلم المحيط بكل شيء، الدالتان على تفرده ﷻ بالخلق واستحقاقه العبادة؛ لأن النطفة جسم متناسب الأجزاء، خلق الله ﷻ منها أعضاء مختلفة، وطباعًا متباينة، وأعجب من ذلك: خلق الذكر والأنثى(١). قال -تعالى-: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: ٤٥-٤٦].

وأعظم ما يعرض على هذه النفس من العوارض (الموت والحياة)، وفي ذلك آيات عظيمة؛ فهما حالتان متضادتان تأتي على معروض واحد، ويمتنع حصولها بسبب الطبيعة؛ بل لا بد أن يكون ذلك بتقدير من حكيم عليم؛ لأن الفعل الصادر من العالم المختار الحكيم يكون على أحوال متضادة، بخلاف المتولد عن سبب طبيعي(٢).

قال -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

- الدلالة على البعث بخلق ما هو مشاهد لهم من خلق الذكر والأنثى، وتزاوجهما؛ ليكون منهما إنشاء خلق جديد يخلف ما سلفه، وذلك أقرب تمثيل لإنشاء الخلق بعد الفناء؛ لأن الأشياء تقرب بما هو واضح من أحوال أمثالها؛ فالذي أنشأ هذا الإنشاء قادر على الإعادة(٣).

قال -تعالى-: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم: ٤٥-٤٧].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٩/ ٢٨١، ١٣/ ٧١. ومحاسن التأويل ٩/ ٤٨٤.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٩/ ٢١٦، والتحرير والتنوير ٧/ ٣٨٨، ٢٩/ ١٢-١٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٧/ ١٨.

وأنه ﷻ كما أحيا هذه الأشياء بعد أن كانت ميتة لا وجود لها، لاشك أنه قادرٌ على ذلك في المرة الثانية؛ فالقادر لذاته لا تزول قدرته[١].

– التنبيه على ما في ذلك من النعم؛ فخلق الزوجين الذكر والأنثى فيه بقاء لنوع الإنسان نتيجة للتزاوج بينهما، وما يترتب على ذلك من التناسل والتعارف، وكثير من المصالح. قال –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحُجرات:١٣].

وتظهر النعم في خلق(الحياة والموت) من حيث إنَّ في الإحياء الأول إنعام الدنيا، فلولاه لم يتنعم أحد فيها وهو الأصل في نعم الآخرة؛ فالدنيا مخلوقة بسائر أحوالها لتكون وصلة إلى الآخرة التي هي الحياة الحقيقية، وفي الموت والإحياء الثاني نعم الدين؛ لكون الموت الفاصل بين حال التكليف وحال المجازاة؛ فالحياة – وإن كانت من أعظم النعم – فهي منقطعة، والمقصود منها الانتقال إلى دار الثواب[٢]. قال –تعالى–: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ۝٦٦﴾ [الحج:٦٦].

ب– العلل التي ذكرها الله ﷻ في آيات الأمر بعبادته، والمذكورة في آيات النهي عن ضدها من الكفر والشرك[٣]. مثال ذلك قوله –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦٦/١٧، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١١٦/٣، والتحرير والتنوير ٣١٥/٢٧.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٤٨/٢٣، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦٥/١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٣٧٣/١.

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢]، ذكر الله ﷻ بعد الأمر بالعبادة ما يدل على استحقاقه العبادة وحده دون ما سواه فذكر نعمه عليهم مبتدأً بالخلق؛ لأنه أصل النعم ومقدمتها؛ ليبين سبحانه أن الخالق أولى بالطاعة والعبادة مما سواه من الأوثان والأصنام، ثم ذكر تسخير الأرض لهم وإخراجها لألوان من الثمار رزقًا لهم تعطفًا منه –سبحانه– عليهم ورحمة ورأفة بهم لا حاجة لهم، وتنبيهًا على وجوب عبادته لمكان هذه النعم وهي نعمة الخلق والرزق؛ لأنه الخالق الرازق، فبينت هذه الآية الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وجمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه[1]. وقال في النهي عن الكفر: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٨-٢٩]، تعجبًا وتوبيخًا لهم على عظم ما أقدموا عليه من الكفر بالله ﷻ مع وضوح الأدلة في ذلك من خلقهم و خلق ما في الأرض من منافع لهم في الدين؛ لكونها دليل على وحدانية ربهم، وفي الدنيا؛ لأنَّ فيها معاشهم وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه؛ ولا شك أن عظم النعمة يقتضي عظم معصية المنعم، فذكر ذلك ليزجرهم عما أقدموا عليه من التمسك بالكفر

(١) ينظر: جامع البيان ١/٣٨٤-٣٨٧، والكشاف ١/٩٣، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٥، والتحرير والتنوير ١/٣٣١.

ويبعثهم على اكتساب الإيمان[١].

ج- أحوال الإنسان من حيث:

- خلقه في أول أمره وآخره:

بين الله ﷻ كيف كان مبتدأ خلق الإنسان في أول أمره وآخره في آيات عديدة، منها: قوله -تعالى-: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل:٤]، كان نطفة جمادًا لا حس بها ولا حركة، وأصبح ناطقًا مجادلًا مبيِّنًا للحجة، وقوله: (نطفة)، إشارة إلى بدنه وقوله: (خصيم مبين)، إشارة إلى أحوال نفسه من النطق والإبانة؛ فظهر أن الإنسان في أول خلقه أنقص حالًا وأقل فطنة من سائر الحيوانات، ثم بعد كبره قوي عقله وعظم فهمه، على معرفة ذات الله ﷻ وصفاته، وعلى معرفة أصناف المخلوقات، وقوي على الخصومات الشديدة في كل المطالب؛ فانتقال نفس الإنسان من تلك البلادة المفرطة إلى هذه الكياسة المفرطة لا بد وأن يكون بتدبير إله قادر مختار[٢]. ومثلُ ذلك قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان:٢].

- حال الإنسان في السراء والضراء:

لم يكتف القرآن الكريم في عرضه لآيات خلق الإنسان ببيان جوانب الخلق فقط؛ بل أخبر ﷻ عن طبيعة الإنسان والأحوال التي تعرض عليه عند حصول النعم وعند الإصابة بالضر؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ

(١) ينظر: جامع البيان ٤٥٣/١، والكشاف ١١٢/١، ومفاتيح الغيب ٣٧٥/٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦٥/١.

(٢) ينظر: الكشاف ٥٩٣/٢، ومفاتيح الغيب ١٧٢/١٩-١٧٤، والبحر المحيط ٥٠٥/٦.

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠﴾ [هود:٩-١٠]؛ حيث إنه من جهله وظلمه لنفسه إذا أذاقه الله ﷻ الرحمة بالرزق، والصحة، والأولاد ونحو ذلك، ثم نزعها منه؛ فإنه ييأس ويقنط، وإذا أصابته هذه الرحمة بعد معاناة وضر؛ فإنه يفرح ويبطر ويتكبر، ظنًا منه أن ذلك الخير سيدوم. واستثنى ﷻ من ذلك المؤمنون الذين إذا أصابهم الضر صبروا، وإذا أصابتهم السراء شكروا الله ﷻ، وقاموا بحق الله فيها؛ لأنهم يعتقدون أن تلك النعمة إنما حصلت من الله تعالى وفضله وإحسانه وطوله؛ فلا يحصل له اليأس(١).

وبهذا يتبين أن التوازن لا يعني الوسطية والاعتدال؛ إنما المراد به الوفاء بمقتضى المتقابلات بما يحقق المقاصد النبيلة، ويضمن عدم طغيان أحد الجانبين على الآخر، بإعطاء كل منهما المقدار المناسب له(٢).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٢٢/١٧، وتيسير الكريم الرحمن ص٣٧٨.

(٢) ينظر: التوازن في ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه وأسلوبه، عماد الزقيلي ص١٠.

المبحث الرابع
الدقة

خلق الله ﷻ جميع المخلوقات على أحسن وجه وأكمل صورة، وسوَّاها وهيأها لما خلقت له، فلا خلل فيها ولا تفاوت، وهدى كلَّ مخلوق إلى أداء وظائفه، وعرَّفه وجه الانتفاع به، وقدَّر لكل منها من البقاء مدَّة معلومة[(١)]. جاء ذلك مبينًا بشكل عام في عدد من آيات القرآن الكريم، منها قوله -تعالى-: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان:٢]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر:٤٩]، وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى:٢-٣]، وغيرها من الآيات.

وخصَّ ﷻ الإنسان في قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]، بعد أن ذكر إتقانه جل جلاله وإحسانه لكل شيء؛ عناية بهذا المخلوق المكرم، وإشارة إلى أنَّ لهذا الإنسان شأنًا عند الله جل جلاله، وأنَّ له وزنًا في نظام الكون فهو أعقد آلة في الكون في خلاياه وأنسجته وأعضائه، وفيه من الدقة والإتقان ما أعجز وحيَّر العلماء[(٢)].

وقد بيَّن الله ﷻ الدقَّة في خلق الإنسان على وجه العموم في عدد من الآيات، منها قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾[الانفطار:٧]، وقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين:٤]؛ حيث أبدع سبحانه خلق الإنسان وجعله معتدل الخلق، متناسب الأعضاء في أحسن الهيئات والأشكال من غير تفاوت، ووهبه الإدراك والفهم والقدرة على القيام بالتكاليف والمصالح المنوطة

(١) ينظر: جامع البيان ٣٩٦/١٧، والكشاف ٢٦٣/٣، ٧٣٨/٤، ومفاتيح الغيب ١٢٩/٣١.

(٢) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، النابلسي ٢٩/١-٣٠.

به في جانبي الدين والدنيا، جاء ذلك مبينًا في أوجز عبارة وأعظم معنى؛ تنبيهًا منه سبحانه واستدلالًا على عظيم حكمته وبالغ قدرته(١).

كما شملت الدقَّة نظم هذه الآيات من وجوه عديدة أبرزها ما يلي:

أولًا: الدقة في اللفظ، وهي على نحوين:

١- الدقة في الحروف والضمائر من حيث:

أ- الاختلاف بين حروف العطف في الآيات المتشابهة، أو الآيات المتتالية، ومن ذلك:

- مراحل خلق الإنسان كما في قوله -تعالى-:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]، تضمن العطف بـ(ثم) في هذه الآية الترتيب الرتبي، بالإضافة إلى الترتيب الزمني؛ فجعل النطفة أعظم من خلق السلالة، وتحول النطفة إلى علقة أعجب من خلق النطفة؛ حيث صير الله ﷻ الماء السائل دمًا جامدًا؛ فتغير كثافةً ولونًا، أما تحول العلقة إلى مضغة فعُطف بـ(الفاء)؛ لأن الدم الجامد واللحم متقاربان؛ فتطورهما قريب، وإن كان بينهما مدة، والانتقال بينهما يشبه تعقيب شيء عن شيء، وكذلك خلق المضغة عظامًا، بينما في آية الحج جاء العطف بـ(ثم) بين جميع المراحل؛ للدلالة على الترتيب الحقيقي؛ فكل مرحلة من

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ٨/٦، والكشاف ٧١٦/٤، ومحاسن التأويل ٤٠٨/٩، وتيسير الكريم الرحمن ص٩١١، والتحرير والتنوير ١٧٦/٣٠.

هذه المراحل مكثت مدة قبل تحولها للمرحلة التالية[١].

قوله –تعالى–: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس:١٨-٢٢]، لم يقل: ثم قدره؛ لأن التقدير لما كان تابعا للخلقة وملازما لها عطفه عليها بالفاء؛ وذلك بخلاف قوله:(ثم السبيل يسره)؛ لأن بين خلقته في بطن أمه، وبين إخراجه منه مهلة وزمانًا؛ فعطفه بـ(ثم)، وكذلك القول في (ثم أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره)؛ لأن بين إخراجه من بطن أمه وموته، وبين موته ونشوره، تراخيًا وفسحة، بينما جاء العطف بين موت الإنسان وإقباره بـ(الفاء)؛ لأنه ليس بينهما تراخٍ ولا مهلة[٢].

– جاء العطف بـ(ثم) بين خلق آدم عليه السلام وحواء في قوله ﷻ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزُّمَر:٦]، بينما في سورة (الأعراف) عُطف بـ(الواو)؛ لدلالة العطف بـ(ثم) في هذه الآية على التراخي الرتبي؛ لأن مساقها الاستدلال على وحدانية الله ﷻ، وإبطال الشرك، فكان خلق آدم دليلًا على عظيم قدرته ﷻ، وخلق زوجه من نفسه دليلًا آخر مستقلًّا؛ لأنه خلق لم تجر به عادة؛ فكان ذلك الخلق أجلب لعجب السامع من خلق الناس، فجيء له بـ(ثم) لبيان تراخي المنزلة لا تراخي الزمن؛ فخلق حواء عليها السلام متقدم زمنًا على خلق الناس، بينما جاء العطف بـ(الواو) في آية الأعراف؛ لأن مساقها الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد؛ فذكر الأصلين للناس معطوفًا أحدهما على الآخر لتشريك في

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي ٩/ ٢١٧، والتحرير والتنوير ١٨/٢٣-٢٤.

(٢) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ٢/١٨٧.

الحكم[1].

ب- حذف الضمير وذكره:

مما تميز به منهج القرآن، الدقة في ذكر الضمائر أو حذفها، ومن الأمثلة على ذلك:

- قوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى:٤٨]، ابتدأت الآية بضمير الجلالة المنفصل (إنَّا) دون أن يقال: (وإذا أذقنا الإنسان)، مع أن المقصود وصف هذا الإنسان بالبطر بالنعمة، والكفر عند الشدة؛ لأنَّ المقصود من هذه الآية هنا تسلية لرسول -صلى الله عليه وسلم- عن جفاء قومه وإعراضهم، فالمعنى: أن معاملتهم ربهم هذه المعاملة تسليك عن معاملتهم إياك، ولهذا لا تجد نظائر هذه الجملة في معناها مفتتحةٌ بمثل هذا الضمير؛ لأن موقع تلك النظائر لا تماثل موقع هذه، وإن كان معناهما متماثلًا؛ فهذه الخصوصية خاصة بهذه الجملة[2].

- قوله -تعالى-: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم:٤٥]، لم يذكر الله ﷻ الضمير (هو) كما في الآيات السابقة لهذ الآية؛ لأن قضية الخلق لا ينازع فيها أحد؛ بينما الضحك والبكاء والإحياء والإماتة، ربما يتوهم جاهل أنها من فعل الإنسان[3].

(١) ينظر: الكشاف ١١٤/٤، وروح المعاني ٢٣٠/١٢، والتحرير والتنوير ٢٣/ ٣٣١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٣٣/٢٥-١٣٤.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٨٠/٢٩، وروح المعاني ٦٨/١٤، والتحرير والتنوير ١٤٧/٢٧.

٢- الدقة في الكلمات والجمل:

أ- مناسبة الكلمة للمعنى:

- كلمة (يجعل) في قوله -تعالى-:﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى:٥٠]؛ حيث أتى بلفظ الهبة في الرزق بالذكور والإناث، بينما ذكر (الجعل) في العقم؛ لكونه غير محمود[١].

كلمة (ليسكن إليها) في قوله -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩]، وقال ﷻ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم:٢١]، استعير لفظ السكون هنا؛ للدلالة على الأنس، والاطمئنان، وزوال اضطراب الوحشة؛ وذلك لأن المرء إذا بلغ سن الحياة الزوجية يجد في نفسه اضطرابًا خاصًا، لا يسكن إلا إذا اقترن بزوج من جنسه واتحدا[٢].

ب- بنية الكلمة من حيث التعبير بالجملة الاسمية والفعلية:

فالجملة الاسمية تدل على التحقق، والثبوت، والاختصاص، والتأكيد، بينما تدل الجملة الفعلية على التجدد؛ لارتباط الفعل بالزمان وتحولاته، ولذلك فإن تنوع صياغة الجملة في اللغة العربية فيه دلالةٌ على أهداف وغايات، وإظهارٌ لدقة الأداء والتعبير، وتوسعٌ في الأساليب[٣].

ومن الدقة في استخدامها في آيات خلق الإنسان ما يلي:

- قوله -تعالى-:﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام:٩٥]، كان

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٤٩/٩.

(٢) ينظر: تفسير المنار، رشيد رضا ٤٣٢/٩، التحرير والتنوير ٧٢/٢١.

(٣) ينظر: أساليب بلاغية، الرفاعي ص١٤٢.

الأصل وروده بصيغة اسم الفاعل كأمثاله من الصفات المذكورة في هذه الآية من قوله: (فالق الحب- وفالق الإصباح- وجاعل الليل- ومخرج الحي من الميت)؛ فعدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع في هذا الوصف وحده، (يخرج الحي من الميت)؛ إرادة لتصوير إخراج الحي من الميت، واستحضاره في ذهن السامع، وهذا إنما يتمكن في أدائه الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي[1].

- التذكير بالموت بعد ذكر مراحل خلق الإنسان في قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون:١٥]، جاء التعبير بقوله ﷻ: (لميتون) عن المرحلة التي لابد أن يصل إليها كل إنسان عند انتهاء أجله في هذه الدنيا، بعدد من المؤكدات والتي من بينها الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار، ولم يؤكد البعث بمثل ذلك، مع أن الموت مقطوع به ولم ينكره أحد، والبعث أنكرته طوائف عديدة واستبعدته، وإن كان من جهة الأدلة مقطوعًا به؛ وذلك تنبيهًا للإنسان ليجعل الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه؛ فإنَّ مآله إليه، وحتى لا يشغله السعي في الحياة الدنيا عن ذكره والاستعداد له، واكتفى بتأكيد البعث بـ(أنَّ) فقط؛ لتظافر أدلته وتظاهرها، والتي منها ما ذكر من خلق الإنسان وأطواره؛ فإنَّ في ذلك دليلًا على حكمته ﷻ وعظيم قدرته على بعث الإنسان وإعادته[2].

- قوله -تعالى-: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾ [النبأ:٨]، عدل عن أن يكون الفعل فعلًا مضارعًا مثل المعطوف عليه؛ لأن صيغة المضارع تستعمل لقصد استحضار الصورة في الذهن؛ فالإتيان بالمضارع في قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾ [النبأ:٦]، يفيد استدعاء إعمال النظر في خلق الأرض والجبال؛ إذ هي مرئيات لهم، والأكثر

(١) ينظر: محاسن التأويل ٤/٤٣٩.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/٨٤، والبحر المحيط ٧/٥٥٣، وروح المعاني ٩/٢٢٠.

يغفل عن التأمل في دقائقها؛ لتعودهم على مشاهدتها من قبل سن التفكر؛ فأُوثِرَ الفعل المضارع مع ذكر المخلوقات المشاهدة؛ ليكون إقرارهم على بصيرة، فلا يجدوا إلى الإنكار سبيلا، وجيء بالفعل الماضي في قوله: (وخلقناكم أزواجا) وما بعده لأن خلقهم وخلق أزواجهم ليس مشاهدًا لهم(١).

ثانيًا: الدقة في الوصف:

عبر القرآن الكريم عن مراحل الخلق بحقائق علمية دقيقة، واصفة للمظهر، وعاكسة لعملية التطور التي تحدث في كل مرحلة من مراحل خلق الإنسان، إضافة إلى كونها خالية من دخول اللبس بين المرحلة والأخرى(٢).

ويمكن بيان ذلك من وجهين:

أ- مطابقة الوصف للتسمية ومن الأمثلة على ذلك:

- العلقة: من إعجاز القرآن الكريم تسمية هذه المرحلة بالعلقة؛ فإنَّه وضع بديع لهذا الاسم؛ إذ قد ثبت في علم التشريح أنَّ هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة، هو كائن حي له قوة امتصاص الدم من الأم بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم(٣).

- المضغة: جاء استعمال القرآن الكريم لوصف المضغة في تسمية المرحلة التابعة للعلقة مطابقًا تماما لشكلها؛ حيث أظهر التصوير الدقيق شكل الجنين وكأنَّه قطعة لحم صغيرة بمقدار ما يمضغ انغرزت فيها أسنان لاكته ثم قذفتها(٤).

- القرار المكين: اختار الله ﷻ وصف (القرار) الذي هو بمعنى: المكان الذي

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/٣٠.

(٢) ينظر: إعجاز آيات القرآن الكريم في بيان خلق الإنسان، محمد فياض ص١٢٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣/١٨.

(٤) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، البار ص٢٥٥.

يستقر فيه الماء ويتجمع؛ لأنه أدق وصف مناسب لمستقر النطفة، ومراحل الجنين المختلفة حتى تكتمل مدة الحمل؛ حيث إنَّه يأوي الجنين، ويقوم على تغذيته، ويتمدد استجابةً لنموه، ويوفر له أفضل الظروف الملائمة لاستقراره وتمام نموه، ووصف (المكين) إشارة إلى مكان الرحم بالنسبة لجسم المرأة، وموقعه المثالي وما يحاط به من أربطة وعظام وعضلات تؤمن له قوة الثبات داخل الجسم؛ فطابق هذان الوصفان التسمية تمام المطابقة(١).

وهكذا في جميع مراحل خلق الإنسان نجد أن التسميات جاءت مطابقةً لأوصافها تمام المطابقة، ولا يمكن لي مصطلح آخر أن يصف أي مرحلة منها بأفضل مما وصفت به في القرآن الكريم.

ب- دقة التصوير:

- قوله -تعالى-: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ [هود:٩-١٠]، اختار الله ﷻ في هذه الآية لفظ (الإذاقة) في تصوير حال الإنسان عند حصول النعمة؛ للدلالة على أنه عند حصول أقل القليل من الخيرات العاجلة يقع منه التمرد، والطغيان، وعبر عن سلب النعمة بقوله: (ثم نزعناها)؛ ليبين شدة تعلق الإنسان بهذه النعمة؛ حيث إنَّه لا يتحمل زوال أدنى نعمة من النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليه، وليس له صبر ولا طاقة على فقدها؛ فبزوالها عنه ينقطع رجائه ويشتد يأسه. وجاء التعبير عن ملابسة الضر بـ(المس) تصويرًا لما يصيبه من اليأس والقنوط والكفر عند تعرضه لأقل القليل من المحنة والبلية؛ فكلا

(١) ينظر: إعجاز آيات القرآن الكريم في بيان خلق الإنسان ص٨٠-٨٢.

اللفظين (الإذاقة والمس) تعبير لأدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة؛ لكن في (الإذاقة) تنبيه على أن النعمة شيء محبوب، وفي (المس) تنبيه على لطف الله ﷻ بعباده[١].

- قوله -تعالى-: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون:١٤]، الكسوة: هي ما وارى الجسد من الثياب، وفي استعارتها هنا إظهار لدقة تصوير هذه المرحلة، في كلمة عبرت عن المقصود بإيجاز بليغ؛ للدلالة على أن اللحم الذي غطى الله ﷻ به العظم، ليس من أصل الخلقة؛ بل هو كالثياب المتخذة للزينة والجمال، جعله الله ﷻ ساترًا للعظام والبدن، كسى كلَّ عظمٍ من تلك العظام المقدار اللائق به بصورة مناسبة، وهيئة مخصوصة، تتداخل وتمتد لتربط المفاصل بعضها ببعض بصورة محكمة[٢].

- قوله -تعالى-: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة:٦٠]، وجه التعبير بقوله تعالى:(قدرنا بينكم الموت) دون قول: نحن نميتكم؛ تشبيهًا للموت بالشيء الموضوع للتوزيع، والمعنى: أي قدرناه بينكم وقسمناه عليكم كما تقسم الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا؛ فلذلك اختلفت أعماركم ما بين طويل، ومتوسط، وقصير، وفي قوله ﷻ: (قدرنا) تذكير بالعلم، والإرادة، والقدرة، وما في ذلك من الدقائق والحكم الكثيرة[٣].

وذكر ﷻ لفظ: (بينكم) دون حذفه، وقول: (قدرنا موتكم) أو التعبير بلفظ آخر مثل: (فيكم أو لكم) لمعنى دقيق وهو أن الموت يأتي على آحادهم بالتداول والتناوب، لا يفلت منه أحد، ولا يتعين لحلوله صنف أو عمر معين[٤].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٢٢/١٧، وفتح القدير ٥٥١/٢، وروح المعاني ٢١٦/٦، والتحرير والتنوير ١٤/١٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٦٣٩/٢، وفتح القدير ٥٦٥/٣، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي ص٩٧.

(٣) ينظر: الكشاف ٤٦٥/٤، ومفاتيح الغيب ٢٩/ ٤١٧، والتحرير والتنوير ٣١٥/٢٧.

(٤) ينظر: المصادر السابقة.

المبحث الخامس
صدق أخباره وثباتها

ختم الله ﷻ بالقرآن الكريم ما أنزله من الكتب السماوية، فهو أشملها وأعظمها وأجلُّها وأكملها، جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، وتكفل بحفظه سبحانه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر:٩]، وجعله سبحانه مصدقًا لما فيها، ومهيمنًا عليها، قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]؛ فهو شاهدٌ ومصححٌ لما فيها من الحقائق، وحافظٌ لما فيها من أصول الشرائع، اشتمل على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وكان وجوده مصداقًا لخبرها؛ فما وافقه منها وشهد له بالصدق فهو حقٌّ مقبول، وما خالفه منها وشهد له بالرد فهو باطلٌ مردودٌ قد دخله التحريف والتبديل(١).

وفي عصر الاكتشافات العلمية امتلك الإنسان أجهزة دقيقة في البحث العلمي، وظهرت وتجلَّت له العديد من الحقائق حول خلق النفس الإنسانية، متوافقةً ومطابقةً تمامًا لما أخبر عنه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، مما يؤكد ويثبت عظمة هذا الكتاب الكريم وصدقه وإعجازه، وأنَّه لا شكَّ وحيٌ من الله ﷻ(٢).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير١١٦/٣، وفتح القدير ٥٥/٢، ومحاسن التأويل ١٥٦/٤، وتيسير الكريم الرحمن ص٢٣٤.

(٢) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١٣/١.

ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أولًا: أخبار ماضية:

وهي ما يتعلق ببداية خلق البشرية بخلق آدم عليه السلام، وخلق حواء، ومن ذلك:

أ- الخلق من نفس واحدة: أخبر الله ﷻ عن خلق جميع بني آدم عليه السلام من نفس واحدة في عدد من الآيات، من ذلك قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١]، وذلك ما أشارت إليه الدراسات الحديثة في علم الوراثة اليوم، وهي بأننا إذا عدنا بعملية الانقسام في الشفرة الوراثية[(١)] إلى الوراء مع الزمن؛ فإنَّ الشفرات الوراثية في أجساد جميع البشر السابقين لنا، والموجودين اليوم، ومن سيأتي إلى قيام الساعة، كلها تجتمع في شفرة وراثية واحدة كانت في صلب رجل واحد، هو آدم عليه السلام؛ الذي خلقت منه زوجه حواء، وبث منهما بقية البشر، وهذا مصداق لما أخبر عنه القرآن الكريم؛ فسبحان من بيَّن ذلك قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان[(٢)].

ب- وصف للمادة التي خلق آدم عليه السلام منها بأوصاف عديدة، من أبرزها: التراب، والطين، قال -تعالى-: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم:٢٠]، وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:٧]، والعلم اليوم يكتشف ويؤكد لنا على أن جسم الإنسان مكون من ستةً عشر عنصرًا هي عناصر التراب أو القشرة الأرضية الخصبة[(٣)].

---

(١) هي تتابع القواعد النيتروجينية الأربعة التي وهبها الله للحياة، وهي الأدنين، والجوانين، و السيتوزين، والثايمين، في كلمات وجمل، تقوم بتخزين المعلومات الوراثية، في لوح محفوظ مسؤول عن حياة الفرد، من الإنبات حتى الممات وهي الجينات. ينظر: الهندسة الوراثية والأخلاق، البقصمي ص١٥.

(٢) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، النجار ١/١٦٠.

(٣) ينظر: معجزات القرآن العلمية، حامد قدير ص٣٢، ووجوه من الإعجاز القرآني، الدباغ ص١٢١.

ثانيًا: أخبار حاضرة ومتجددة:

وهي ما يتعلق بخلق بني آدم عليه السلام؛ لأنها متكررة ومتجددة من خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وذلك من حيث:

أ- مراحل خلق بني آدم عليه السلام وتفصيلها في عدد من الآيات في وقت كانت تسود فيه الكثير من المعتقدات الخاطئة، ويعم فيه الجهل، ويفتقر لكثير من أدوات البحث والاكتشاف التي توفرت فيما بعد؛ حيث تجلى فيها صدق القرآن الكريم وإعجازه من حيث:

- الصور الفوتوغرافية التي سجلتها آلات التصوير الدقيق للجنين في داخل الرحم تؤكد ما ذكر القرآن من تطورات لمراحل خلق الجنين المختلفة، وتسلسلها عبر أطوار متتابعة ومتلاحقة في بطن الأم بنصوص صريحة، وكلمات واضحة، ومصطلحات علمية دقيقة، تطابق في أوصافها تسمياتها المثالية، ومخالفةً لما كان سائدً عند علماء غير المسلمين من نظريات واعتقادات خاطئة محصلتها أن الحمل منذ بدايته يحتوي على كائن بشري متكامل الخلق[1].

- التميز الدقيق في بيان توقيت حدوث المراحل والأطوار الرئيسية لخلق الجنين؛ حيث عبر القرآن الكريم بـ(ثم) للإشارة إلى المراحل الأساسية وبـ (الفاء) للإشارة إلى المراحل الفرعية التي تحدث بتتابع سريع نسبيًا؛ فأحدث ما في علم الجنين أن هناك فترة زمنية بين مرحلة النطفة ومرحلة العلقة، هذه الفترة تزيد على أسبوعين، يتباطأ فيها نمو الجنين؛ لأنها مرحلة انغراز النطفة في جدار الرحم، والجنين في هذه المرحلة لا ينمو، وإنَّما يوطد طرائق امتصاصه للغذاء من الرحم، أما

(١) ينظر: إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان ص٤٢.

بقية المراحل فهي متتابعة ومتعاقبة[١].

– الوحدة المتماسكة في حديث القرآن عن أطوار خلق الإنسان ومراحله التي لا تتغير فيها الألفاظ ولا المفاهيم مهما تكررت الإشارة إليها في آيات الخلق؛ يدل على أنها حقيقة علمية دقيقة، وصحيحة، بعيدة عن الاختلاف، والتضاد، أو التعارض في المصطلحات، وحاشا لله؛ فكيف يحدث التعارض والخلاف والقائل هو خالق هذه النفس الإنسانية والعالم بأسرارها[٢].

ب– وصف لمكان الخلق بالظلمات الثلاث.

دلت أبحاث علم الأجنة أن الجنين في داخل الرحم يكون لنفسه ثلاث أغلفة تحيط به لا ينفذ منها الماء أو الحرارة أو الضوء؛ فهي ظلمات ثلاث، وهي ما أُكتُشفت من الأغشية الثلاثة الصماء التي تحيط بالجنين في بطن أمه، وهذه الأغشية لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق؛ حيث تظهر كغشاء واحد بالعين المجردة، وهكذا نرى القرآن قد أخبر بهذه الحقائق في وقت لم يكن العلم قد عرفها[٣].

ج– ما يشترك فيه بني آدم مع غيرهم من: الزوجية، والخلق من الماء.

– قال –تعالى–: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء:٣٠]، فسر المفسرون السابقون هذه الآية بأن الله ﷻ خلق جميع الأحياء من ماء الذكر والأنثى، وبأن كل الكائنات الحية محتاجة إلى الماء في حياتها، وجاء العلم الحديث يقرر ويؤكد هذه الحقيقة بأنَّ الماء يدخل في بناء أي جسم حي وبه قوام حياته؛ فالماء هو المكون الأصلي في تركيب مادة الخلية، والخلية هي وحدة البناء في كل

(١) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي ٨٦/١–٨٧، واعجاز آيات القرآن في آيات خلق الإنسان ص١٢٥.

(٢) ينظر: إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان ص٤٢.

(٣) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل ص١٠٤–١٠٥.

شيء حي حيوانًا كان أو نباتًا. وكذلك أثبتت أبحاث علم الكيمياء الحديثة أن الماء عنصر لازم وفعال في كل ما يحدث من التفاعلات والتحولات التي تتم داخل الاجسام؛ فهو إما وسط في هذا التفاعل، أو عامل مساعد له، أو ناتج عنه[1].

- قوله -تعالى-: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات:٤٩]، أخبر الله ﷻ عن عظم قدرته في جعل جميع المخلوقات أزواجًا من نوعين وصنفين مختلفين في عدد من الآيات؛ لما في ذلك من دلائل عظيمة، أبرزها: وحدانيته ﷻ وقدرته، والزوجية للمادة كانت معروفة وجلية تماماً في الحيوانات والنباتات من حيث الذكورة والأنوثة، وفي الجمادات من حيث الإجمال. وبعد تقدم العلم ظهر للعلماء أنَّ الجمادات مكونة من ذرات، وهذه الذرات زوجية، ومثال ذلك: أبسط الذرات (ذرة الأيدروجين) تتكون من نواة يدور حولها كهرب، النواة تحمل شحنة كهربية موجبة، والكهرب يحمل شحنة كهربية سالبة، وهذا مصداقٌ لقوله تعالى: (ومن كل شيء)[2].

فهذه بعض من آيات خلق الإنسان في كتاب اللهِ ﷻ؛ التي تحدَّثت عن حقائق ومعجزات علمية بينة لم تتغير ولم تتبدل، إنما سطعت وتجلت في عصر الكشوف العلمية، متوافقة مع آيات القرآن الكريم، وموضحة لمعناها، ومصدقة له.

(١) ينظر: المصدر السابق ص٨٥-٨٦.

(٢) ينظر: معجزات القرآن العلمية ص١٨٤، وخلق الإنسان بين الطب والقرآن ص١٤١.

المبحث السادس
الاقتران بين الآية والغرض منها

المتدبر لآيات القرآن الكريم وسوره، يجد أنَّها عُرضت كالبنية المتماسكة في مجموع سورها وآياتها، بنيت من مقاصد كلية وأسس وأصول، منسجمة مترابطة، لا يشعر فيها بشيء من التناكر أو التكلفة، تنتقل به من غرض لآخر، بلطف في التمهيد وحسنٍ في السياق(١).

ومن ذلك آيات خلق الإنسان؛ حيث جاءت مقترنة مع أغراضها في القرآن الكريم على وجوه متعددة:

أولًا: أن تأتي تمهيد ومقدمة وتوطئة لما سيذكر بعدها من أغراض ومن الأمثلة على ذلك:

أ- قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

افتتح الله ﷻ بهذه الآية سورة النساء، آمرًا جميع الناس بتقواه، ومخبرًا ومذكرًا لهم بمبدأ خلقهم، وأنهم مخلوقون من نفس واحدة، جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة؛ تمهيدًا وتوطئة لما اشتملت عليه هذه السورة من أحكام في القرابة والنسب والمصاهرة، وحثًا لهم على تقوى الله ﷻ في القيام بحقوق وواجبات بعضهم على بعض؛ لأنَّ القيام بحقوقهم هو من حقِّ الله الذي أمر به، فكما يلزم القيام بحق الله جل وعلا، كذلك يجب عليهم القيام بحقوق الخلق فيما بينهم، خصوصًا الأقربين منهم، وزيادة للشفقة والتعاطف فيما بينهم، فبين القرابة العامة إجمالًا، ثم ذكر الأرحام، ثم شرع بعدها في تفصيل ما يتعلق بهما من أحكام، فجاءت هذه الآية

(١) ينظر: النبأ العظيم ص١٨٨.

بما اشتملت عليه من براعة في الاستهلال بمنزلة الديباجة للسورة[1].

ب- قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج:١٩-٢٢].

بين الله ﷻ في هذه الآيات بعضًا من صفات الإنسان التي جبل عليها تمهيدًا لبيان كيفية تجنبها ومعالجتها بما ذكر ﷻ بعدها من أوصاف ونعوت جليلة تحمل صاحبها على البعد عن الانهماكِ في حب العاجل وقصرِ النظرِ عليهِ، بإيثارِ الآجلِ عليه بطاعةِ الله ﷻ والإيمانِ بالجزاءِ والخوفِ من العقاب وكسرِ شهوةِ النفس، وذلك من عبادات بدنية، كالمداومة على الصلاة، وأعمال قلبية، وعبادات مالية، وعقائد نافعة، وأخلاق فاضلة وحسن معاملة الخلق وإنصافهم، وحفظ عهودهم وأسرارهم، فعداد خصال من خصالهم إطنابا في الثناء عليهم لأن مقام الثناء مقام إطناب، فالإيمان والتوحيد وهذه الأعمال الفاضلة تزجر صاحبها عن الجزع والهلع، فلا يجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهب له محبوب، من مال أو ولد، و يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله. إذا مسه الخير شكر الله، وأنفق مما خوله الله، وإذا مسه الشر صبر واحتسب، وذكرِ الصَّلاةِ في أولها وختامها للدلالةِ على منزلتها وفضلها على سائرِ الطاعاتِ وكل واحدٍ من الأوصافِ المذكورةِ نعتٌ جليلٌ له شأنٌ مستتبِعٌ لأحكامِ جَمةٍ حقيقٌ بأنْ يُفردَ له موصوفٌ مستقلٌ ولا يجعلُ شيءٌ منها تتمةً للآخرِ أولئك الموصوفينَ بما ذُكر من الصِّفاتِ مستقرونَ في جنات لا يقادر قَدرُهَا ولا يُدرَكُ كُنْهُهَا قد أوصل الله لهم من الكرامة والنعيم المقيم ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين[2].

(١) ينظر: تفسير المنار ٢٦٤/٤، وتيسير الكريم الرحمن ص١٦٣، التحرير والتنوير ٢١٤/٤.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز ٣٢/٩-٣٤، وتيسير الكريم الرحمن ص٨٨٧.

ثانيًا: أن تأتي معطوفة على ما قبلها لأغراض متعددة، من أبرزها:

أ- الاستدلال: وذلك مما يكثر في آيات خلق الإنسان، ومن الأمثلة على ذلك: قوله -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾ [نوح:١٧-١٨].

تقدم هذه الآية الاستدلال بخلق السماوات؛ فناسب أن يُعطف على ذلك أعجب ما يرونه من أحوال الأرض، وهو حال الموت والإقبار، ممهدً لذلك بذكر الإنشاء الأول؛ لأنَّ السياق للاستدلال بالمعلوم المشاهد على المجهول الغيبي، وخلق الإنسان أطوارًا محسوس ومسلم به، وإنبات الإنسان بإطعامه من نبات الأرض، وإحياءُ الأرض بعد موتها، أمر محسوس كذلك؛ فالمعنى: أنَّك كما شاهدت خلق الإنسان من عدم وتطوره أطوارًا، وشاهدت إحياء الأرض الميتة؛ فإنَّ الله الذي خلقك وأحيا لك الأرض الميتة قادرٌ على أن يعيدك ويخرجك منها إخراجا[1].

ب- التذكير كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء:٦١-٦٢].

ووجه اقترانها بما قبلها تذكيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم بحال الأنبياء مع أقوامهم ومعاداتهم لهم، ومن ذلك: قصة آدم عليه السلام مع إبليس وما كان من حسده وكبره برفضه السجود لآدم عليه السلام، وتوعده لذريته بالإغواء، والمعنى: أي اذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم بتمادي هؤلاء المشركين وعتوهم على ربهم قصة إبليس حين عصى ربه وأبى السجود؛ فبين تعالى أن الحسد والكبر هما اللذان حملا إبليس

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٦٥٤/٣٠، والتحرير والتنوير ٢٠٤/٢٩.

على الكفر والعصيان، فهذه بلية ومحنة قديمة للخلق[1].

ج- تسلية للنبي -صلى الله عليه وسلم- كما في قوله -تعالى-:﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى:٤٨].

وصف الله ﷻ في هذه الآية حال الإنسان مع ربه؛ بأنَّه إذا أغناه الله ﷻ ووسع عليه، سُر بذلك الغنى، وإن أصابه فقر، وفاقة، وضيق في العيش، عقوبة على معصيته جحد نعمة الله؛ والغرض من هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وإزالة لهمه، وتذكيرًا له بمهمته في الدعوة، وأنَّ ما عليه إلا البلاغ. ثم أتبع ذلك بأنَّه سبحانه له ملك العالم العلوي والسفلي، يفعل ما يشاء وما يريد[2].

د- الفائدة والامتنان كذكر الأنعام في قوله -تعالى-:﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزُّمَر:٦].

عطف -سبحانه- على خلق الناس من نفس واحد الامتنان بما خلقه لهم من الأنعام؛ لما يتعلق بها من منافع ومصالح للإنسان، ينتفع بألبانها، ولحومها، وأصوافها، ونسلها، وما إلى ذلك، والقوم يومئذ حياتهم بالأنعام ولم تزل الأمم بحاجة إليها في قوام وبقاء حياتها؛ فذكر أزواج الأنعام لزيادة المنَّة؛ فإنَّ ذرء نسل الإنسان نعمة للناس، وذرء نسل الأنعام نعمة أخرى لهم[3].

(١) ينظر: جامع البيان ٦٥٣/١٤، ومفاتيح الغيب ٣٦٥/٢١، والتحرير والتنوير ١٤٩/١٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٤٢/٥، ومفاتيح الغيب ٦٠٩/٢٧، والتحرير والتنوير ١٣٣/٢٥.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٧١٩، والتحرير والتنوير ٣٣٢/٢٣، ٤٤/٢٥.

ثالثًا: أن تأتي خاتمة ونتيجة ومن الأمثلة على ذلك:

أ- قوله -تعالى-: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:١٧].

ختم الله ﷻ بهذه الآية ما ذكره وعدده بالشرح والتفصيل لكثير من الدلائل والنعم؛ إبطالًا لعبادة غير الله -تعالى-، وتعريفًا بعظم جهل من عبد غير الله ﷻ، وسوء نظره لنفسه، وقلة شكره لمن أنعم عليه بالنعم التي لا يحصيها أحد غيره، وتبكيتًا لشركه، بإنكار أن يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك، مذيلًا الآية بقوله:(أفلا تذكرون) أي أنَّه لوضوحه لا يفتقر إلى شيء سوى التذكر لمعرفة أنَّ الخالق هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، فكانت الجملتان نتيجتين للأدلة السابقة، وإنكارا على المشركين وتبكيتًا لهم[(١)].

ب- قوله -تعالى-: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨].

تذييل لما أخبر الله ﷻ به من إرادة التخفيف على بني آدم عليه السلام فيما فرض عليهم من الأحكام؛ مراعاة لحالهم وما فيه من ضعف، ومن ذلك: ما يتعلق بضعفه في جانب أمر النساء المتقدم ذكره في الآيات، فأباح له نكاح الإماء تخفيفًا ومراعاةً لضعفه، والآية عامة في يسر الدين وسهولته[(٢)].

رابعًا: أن تأتي مستأنفة، وذلك إما:

أ- استئناف ابتدائي: كما في قوله -تعالى-: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس:١٧-٢٢]. وجه اقترانه بما قبله: أنَّ الله ﷻ لما ذكر الآيات المشتملة على ترفع صناديد وكبار قريش على فقراء المسلمين، يبين ذلك الكلام الذي دار بينهم وبين النبي

(١) ينظر: مفاتيح الغيب٢٠/١٩٢، ومحاسن التأويل ٦/٣٦٠، والتحرير والتنوير ١٤/١٢٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٢/٤١، ومفاتيح الغيب١٠/٥٥، ومحاسن التأويل ٣/٨٥.

ﷺ في المجلس الذي دخل فيه ابن أم مكتوم، أعقب ﷻ ذلك بما يزيل هذا العجب والكفر، بذكر خلق الإنسان وحاله في أول أمره وآخره، شروعًا في بيان إفراط من استغنى في كفره بتفصيل ما أفاض الله ﷻ عليه من فنون النعم من مبدأ خلقه إلى آخره، بما يقتضي منه ويوجب عليه الطاعة والشكر(١).

ووجه آخر في المناسبة: بعد أن وصف الله ﷻ القرآن بأنَّه تذكرة، وكان أكبر دواعي المشركين على التكذيب بالقرآن ما فيه من الإخبار بالبعث ومطالبتهم الإيمان به، كان الاستدلال على وقوع البعث أهم ما يعتنى به في هذا التذكير، وخلق الإنسان من أعظم الأدلة التي يستدل بها على وجود الخالق جل وعلا، وعلى القول بالبعث والحشر والنشر(٢).

ب- استئناف بياني: كما في قوله -تعالى-: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨]، ووجه اقترانه بما قبله: تعلق الآية بقوله -تعالى-: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ [لقمان:٢٣]؛ مجابهة للمشركين، ولما تتوجس به نفوسهم من استحالة إعادة الأجسام بعد موتها، فأعقب ﷻ ذكر البعث بالإشارة إلى إمكانه وتقريبه، وأن الكل هين على الله ﷻ، والمعنى: ما خلق جميع الناس أول مرة ولا بعثهم بخلقهم للمرة الثانية إلا كخلق نفس واحدة؛ للدلالة على تمام قدرة الخالق جل وعلا، والتأكيد على أنه سبحانه يستوي في جانب قدرته القليل والكثير والبدء والإعادة، وتعقيب ذكر البعث بدلائل قربه، وإمكانية وقوعه مما يكثر في آيات القرآن الكريم(٣).

(١) ينظر: محاسن التأويل ٩/٤٠٧-٤٠٨، والتحرير والتنوير ٣٠/١١٩.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٣١/٥٦-٥٧، والتحرير والتنوير ٣٠/١١٩-١٢٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق ٢١/١٨٣.

المبحث السابع
عمق الدلائل

يعرض القرآن الكريم الدلائل على توحيد الله ﷻ والإيمان بالبعث في آيات خلق الإنسان ببراهين عقلية واضحة، بعيدة عن التعقيد والغموض، وتشير مع ذلك إلى دلائل عميقة لمن تأمل وتفكر فيها، يمكن بيانها فيما يأتي:

أولًا: إيقاظ الفطرة:

ينهج القرآن الكريم في الاستدلال بآيات خلق الإنسان على توحيد الله ﷻ والبعث، إلى إيقاظ الفطرة وتذكيرها بما هي معترفة ومقرة به من وجود الخالق ﷻ، بدلائل متنوعة وأساليب عديدة؛ ليؤكد على استحقاق الله ﷻ للعبادة والتسليم له بالوحدانية، والإيمان والتصديق بوقوع البعث، قال -تعالى-:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، وقال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٨٧]، وغير ذلك من الآيات؛ لأنَّ الفطرة السليمة التي أوجدها الله ﷻ في الناس تعرف ربها حقيقة وتلوذ به، وتلتجئ إليه إذا مسها الضر، قال تعالى:﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧]، وبهذا يتبين أنّ وجود الله ﷻ أمر فطرت النفوس البشرية عليه، والميل والانحراف إنما يكون عند تغير الفطرة وفسادها[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الإقرار بالخالق وكماله، يكون فطريًّا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد

(١) ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، الرحيلي ١/٣٣٦-٣٣٧.

يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من النّاس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها"[1].

ثانيًا: المشاهدات والمحسوسات:

استدل القرآن الكريم بالبراهين العقلية المستمدة مما يشاهده الإنسان ويشعر به في نفسه التي هي أقرب الدلائل إليه، وفي الكون من حوله، داعيًا بذلك إلى التأمل والتعمق في هذه الدلائل بما فيها من: عظمة، ودقة، وانتظام، وتنوع؛ حتى يصل إلى نتيجة صحيحة، هي: تعظيم الخالق ﷻ وتوحيده، والإيمان والتصديق بوقوع البعث. وتوضيح ذلك على النحو التالي:

١- القياس:

استدل الله ﷻ في آيات خلق الإنسان بخلق الأمور العظيمة التي يشاهدها الناس ويشعرون بها، وتفوق ما ينكرونه ويكذبون به، ومن ذلك خلق السموات والأرض، قال -تعالى-: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر:٥٧]، وقال ﷻ: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ [الصافات:١١]، خصص الله جل وعلا الاستدلال بها في هذه الآيات؛ لأنهم مقرون بأن الله خالقها، وعظمتها مشاهدة ومحسوسة لهم؛ فالخالق لهذه المخلوقات العظيمة هو وحده ﷻ المستحقة للعبادة دون ما سواه، ومن باب أولى أن من قدر على خلقها لا يعجز عن خلق ما هو أهون منها؛ وهو إعادتهم بعد الموت، مع أن الكل هين في حقه جل وعلا[2].

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٦/٧٣.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦/٣٢١-٣٢٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٥، والتحرير والتنوير ٢٤/١٧٦.

٢- التنوع والاختلاف:

من آيات الله ﷻ العظيمة والبراهين العميقة الدالة على قدرته ﷻ وعلمه وحكمته، التنوع والاختلاف في الأشكال والهيئات والصور بين المخلوقات المشاهدة والمحسوسة، وجاء ذكر ذلك في آيات خلق الإنسان على نحوين:

أ- اختلاف عام بين جميع الكائنات الحية ذات الأصل الواحد، كما قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور:٤٥]، وقال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨]، حيث استدل الله ﷻ في هذه الآيات بخلق الأشياء المتضادة، والمتنوعة، والمتخالفة، من أصل واحد؛ للدلالة على قدرته جل وعلا وبديع صنعه؛ إذ لولا وجود الصانع المختار لكان الجميع من جنس واحد؛ فهذا التفاوت والاختلاف المشاهد والمعروف مع اتحاد الأصل دليل عقلي على مشيئة الله ﷻ التي خصصت كل نوع منها بلون ووصف وشكل وهيئة مختلفة، وعلى قدرته ﷻ وحكمته وسعة علمه سبحانه، وعلى أنه يبعث من في القبور، فكما أنها في أنفسها دلائل، كذلك في اختلافها وتنوعها دلائل، لكن الغافل ينظر في هذا الاختلاف والتنوع نظر غفلة لا يحدث له التذكر؛ إنما الذي ينتفع بها من يخشى الله ﷻ ويؤمن به ويتفكر فيما حوله من العجائب والغرائب[(١)].

ب- الاختلاف بين بني آدم عليه السلام في هيئاتهم وألوانهم ولغاتهم، قال-تعالى-: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٣٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٢/١٢، وفتح القدير ٣٩٩/٤، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٨٨.

لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم:٢٢]، ذكر -سبحانه- في هذه الآية الاستدلال بخلق السموات والأرض؛ تمهيدًا لذكر آية اختلاف اللغات والألوان؛ للإشارة إلى أن هذا الاختلاف هو من آثار خلق السماوات والأرض؛ فاختلاف الأوطان وتباعدها سبب في اختلاف اللغات، واختلاف الجهات المسكونة من الأرض ومدى ملامستها للشمس سبب في اختلاف الألوان؛ بل حتى في المكان الواحد لا تجد التطابق التام(١).

واختلاف منطق الألسنة واللغات وألوان الأجسام وتخطيطات الأعضاء والهيئات، فيه عِبر وآيات وأدلة عميقة على أن الله ﷻ لا يعييه إعادة الخلق بعد فنائهم لهيئتهم التي كانوا عليها قبل مماتهم؛ حيث ولدوا وفرعوا من أب واحد، مختلفون متفاوتون مع ما هم عليه من الكثرة التي لا يعلمها إلا الله ﷻ؛ فليست هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين، فلا بد إذ من وجود فاعل مختار هو الله ﷻ؛ فهذا من الدلائل العميقة على المدبر القادر الحكيم(٢).

٣- الدقة والانتظام:

من الدلائل المعروضة في آيات خلق الإنسان ما في مخلوقات الله ﷻ المشاهدة والمحسوسة من دقة متناهية في صنعها، وانتظام بديع في سيرها وحركتها، يدرك الإنسان من خلالها بعقله وبصيرته أن هذه الدقة وهذا الانتظام والإبداع، سواء في خلقه أو خلق ما حوله لا يمكن أن يوجد من غير موجد؛ فهذه المخلوقات عاجزة في ذاتها عن إيجاد ذلك النظام الدقيق والترتيب المحكم(٣).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢١/٧٣.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٨/٤٧٩، والكشاف ٣/٤٧٣، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٨.

(٣) ينظر: منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام ١/٣٣٦.

ويظهر عمق الدلائل في ذلك: أن الله ﷻ كثير ما يُتبع آيات خلق الإنسان الأمر بالتفكر والنظر فيما يشاهدونه من توافق، وإبداع، وتنسيق، وتسخير لما حولهم من خيرات وفوائد، من ذلك قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، وقوله ﷻ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٣﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

وإنما يذكر -سبحانه- السماء والأرض في الغالب، فيما يعدده عليهم من النعم؛ لأنَّ منهما أقواتهم ومعايشهم وأرزاقهم، وبهما قوام دنياهم، وليعلموا أنَّ الذي خلقهم وخلق جميع ما حولهم على نحو يتوافق مع تكوينهم وطبيعتهم، ويحقق لهم الصلاح بإتقان وإحكام، وغاية في الجودة والإتقان والتناسب، هو المستحق للعبادة والطاعة والشكر دون غيره من الأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر[(١)].

٤- المفارقة بين مراحل الخلق المختلفة:

جاء الاستدلال بخلق النطفة وتحولها إلى مراحل مختلفة على توحيد الله وعلى البعث؛ لما في هذا التحول من براهين عظيمة ودلائل عميقة تظهر في ما يلي:

أ- عرض القرآن الكريم مراحل تحول النطفة وانتقالها من حال إلى حال بالتعبير بكلمة (خلقنا) في كل تحول، قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

(١) ينظر: جامع البيان ١/٣٩٠، والعقيدة في ضوء الكتاب والسنة ١/١٠٠.

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٤]؛ لزيادة الدلالة على وحدانية الله ﷻ وعظيم قدرته بتصريف تلك المراحل وتحويلها مع ما بينها من المخالفة والتباين؛ فـ(ماء) لطيف يتحول إلى قطع دم جامدة، ثم تتحول تلك القطعة إلى مضغة من اللحم بمقدار ما يمضغ، ثم تتحول إلى عظام، وهكذا حتى يخرج إنسان سوي متكامل الخلقة؛ لابد وأن يكون من إله قادر حكيم، كما ابتداء هذا الخلق؛ فبلا شك لا يعجز عن إعادته مرة أخرى[1].

ب- من الدلائل العميقة في التعبير عن الخلق بالنطفة، اختلاف صور أعضاء الإنسان مع تشابه أجزاء النطفة التي خلق منها؛ إذ لو كان خلقه ﷻ للإنسان من أشياء مختلفة الصور كان يمكن أن يقال خلق العظم من جنس صلب، وخلق اللحم من جنس رخو، وهكذا، بينما جاء التعبير بالنطفة للدلالة على أنَّ هناك فاعل مختار قادر حكيم يصرف الخلق كيف يشاء -سبحانه-[2]. قال -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران:٦].

ج- الأعجب والأغرب من تحول النطفة إلى جسم مكتمل ودقة في إبداع الخلق، هو تحول هذه النطفة إلى إنسان يعقل ويفهم وينطق ويسمع ويتكلم! قال -تعالى-: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل:٤]، اختار الله ﷻ أعلى أحوال النطق والإبانة؛ ليدل على أن المنافاة العظيمة التي بين النطفة المهينة، وبين الإبانة في الخصام الناتجة عن التفكير والتعقل، هي من آياته ﷻ الدالة على وحدانيته وعلى حقيقة البعث[3].

(١) ينظر: الكشاف ١٤٤/٣، ومفاتيح الغيب ٢٠٤/٢٣، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٠٨/٥.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٠٨/٢٦.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٠٨/٢٦، والتحرير والتنوير ١٠٢/١٤-١٠٣، وأضواء البيان ٤٩٠/٧.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فإني بعد البحث في: خصائص منهج القرآن الكريم في عرضه لآيات خلق الإنسان أُلخص أبرز ما توصلت إليه في النقاط التالية:

١- شمول منهج القرآن في عرضه لآيات خلق الإنسان لكثير من الخصائص التي تميز بها وأثبتت صدقه وإعجازه.

٢- جمعت خصائص منهج القرآن الكريم في عرضه لآيات خلق الإنسان بين الجانبين المعنوي واللفظي بصورة متحدة ومتناسقة ومترابطة.

٣- عرض القرآن الكريم لآيات خلق الإنسان بهذه الخصائص أوضح المعنى المراد من الآيات لكافة المخاطبين بالصورة المناسبة.

وبعد أن فرغت من كتابة هذا البحث، تبيَّن لي أنَّ هناك عددًا من الموضوعات لم تُعطَ حقَّها من الدراسة، من أبرزها ما يلي:

١- التوازن المعنوي في القرآن الكريم؛ من خلال موضوعاته المتنوعة.

٢- التخصيص اللفظي في القرآن الكريم، وبيان معالمه ومميزاته.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يبارك فيه وينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، د. ط بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٢. **أساليب بلاغية**. الرفاعي، أحمد مطلوب أحمد الناصري، الطبعة الأولى، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م.

٣. **إعجاز القرآن في (ويعلم ما في الأرحام)**. محمود محمد غريب، أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين، د. ط، د. م، د. ن، د. ت.

٤. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**. الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، الطبعة الثامنة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٥. **إعجاز آيات القرآن الكريم في بيان خلق الإنسان**. محمد فياض، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٧. **البحر المحيط في التفسير**. أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٨. **التحرير والتنوير**. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، د. ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٩. **تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**. زغلول النجار، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٠. **تفسير القرآن العظيم**. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب

العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩هـ.

١١. **تفسير المنار**. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٢. **تيسير الكريم الرحمن**. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٣. **جامع البيان في تأويل القرآن**. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٤. **الجامع لأحكام القرآن**. القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٥. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

١٦. **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**. المطعني، عبد العظيم بن إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٧. **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**. البار، محمد علي، الطبعة السابعة، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

١٨. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

١٩. **العقيدة في ضوء الكتاب والسنة**. عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثانية عشر، دار النفائس، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢٠. **فتح القدير**. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، الطبعة الأولى،

دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

٢١. **القرآن وإعجازه العلمي**. محمد إسماعيل إبراهيم، د. ط، الدمام: دار الفكر العربي، د. ت.

٢٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٢٣. **مباحث في إعجاز القرآن**. مصطفى مسلم، الطبعة الثالثة، دمشق: دار القلم، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٤. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، د. ط، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

٢٥. **مجموع الفتاوى**. ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد العاصمي النجدي، د. ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٦. **محاسن التأويل**. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد الحلاق، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٢٧. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٢٨. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

٢٩. **المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة**. أبو شوفة، أحمد عمر، ليبيا: دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٣م.

٣٠. **مفاتيح الغيب**. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الطبعة الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ..

٣١. **مناهل العرفان في علوم القرآن**. الزرقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الطبعة الثالثة، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت.

٣٢. **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**. الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج، الطبعة الأولى، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٣. **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**. النابلسي، محمد بن راتب، الطبعة الثانية، دمشق: دار المكتبي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٤. **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**. دراز، محمد بن عبد الله، د. ط، د.م، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٥. **الهندسة الوراثية والأخلاق**. البقصمي، ناهدة، د. ط، د. م، عالم المعرفة، ١٩٩٣م.

٣٦. **وجوه من الإعجاز القرآني**. مصطفى الدباغ، الطبعة الثانية، الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٧. **التوازن في ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه وأسلوبه**، دراسة تفسيرية. الزقيلي. عماد بن محمود، رسالة دكتوراه، الأردن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٣٨. **معجزات القرآن العلمية**. حامد حسين قدير، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الرابعة عشرة، العددان:(٥٥-٥٦)، ١٤٠٢هـ.